ووايزمان وبن ـ غوريون، على مواقف العرب الراهنة وردود فعل زعماء اسرائيل الحاليين عليها، لاهتزت عظامهم في قبورهم غضباً على هؤلاء الزعماء وحسرة على تقاعسهم في استغلال الفرص السانحة. الا ان للزعماء الاسرائيليين الحاليين همومهم الخاصة بهم، وواقعهم الخاص بهم كذلك، وسياساتهم الواضحة أيضاً، وهم ليسوا في هذا الوارد. فالمعروف للجميع، تقريباً، ان القوى السياسية الاسرائيلية الفاعلة مقسّمة بين تيارين رئيسين، احدهما الليكود الذي يعتبر كافة الاراضي الفلسطينية جزءاً مما يسمى «ارض ـ اسرائيل»، التي «تخص» «الشعب اليهودي»، وبالتالي لا انسحاب اسرائيلي منها، ولا يجوز تسليم اقسام منها لـ «الغرباء»؛ اما ثانيهما، الممثل بحزب العمل، فانه اكثر براغماتية، ولا يعترض على حلول اكثر مرونة. الا ان كلا التيارين بعيد للغاية من التجاوب مع ابسط الطموحات الفلسطينية، او تفهمها. فكلاهما يعارض قيام دولة فلسطينية مستقلة، حتى لو اعترفت باسرائيل، بل انهما ليسا بحاجة الى هذا الاعتراف. وان كان عدد من زعمائهما قد سمع، ولو اشاعة، تقول ان هنالك شعباً فلسطينياً، فان كليهما لم يتعرف حتى الآن على «الاكتشاف» المسمى حق تقرير المصير. كما ان كليهما، في تعاطيه مع ما يسميه «المشكلة» الفلسطنية، لا يقيم اي وزن للمهجر الفلسطيني، وفي طليعته منظمة التحرير الفلسطينية بشكل خاص، ولا يعتبر ان هنالك اية مسؤولية ملقاة على عاتقه تجاهه؛ وهي حقيقة يستحسن عدم نسيانها.

والأخطر من ذلك، من حيث النتائج والانعكاسات السياسية، هو ان هذه المواقف لم تبرز ارتجالاً، بمعنى انه تمت، مثلاً، المصادقة عليها او «اعتمادها» من قبل «لجنة مركزية» اسرائيلية او «مكتب سياسي» اسرائيلي او «مجلس وطني» اسرائيلي، ولا هي جاءت نتيجة لـ «حوار» ادى الى «وحدة وطنية» اسرائيلية، بل انها نابعة من موقف «الجماهير» الصهيونية ـ وهنالك، فعلاً، جماهير صهيونية تتلمذت على سياسات الاستخفاف بالعرب ومواقفهم، وكبرت على ممارسات الاحتلال والضم، وتشكّل مواقفها «رأياً عاماً» ليس من السهل على الزعماء الاسرائيليين، أيا كانت اتجاهاتهم، تجاهله. فالنظام الاسرائيلي، في تركيبته السياسية، ليس، في نهاية الامر ـ على سبيل المثال ـ، اتحاداً شعبياً بائساً يمكن «تضبيطه» واعادة تركيبه وصياغته كما قد يحلو لبعضهم، من هنا وهناك، او لجنة ما تشكل بالتوافق، بل انه بناء معقد للغاية، تلعب «الجماهير» ـ حسب مفاهيم المستيسرين، ولكن هذه المرة بالمقلوب ـ دوراً مهماً للغاية، بل وحاسماً، في صياغته. وهذه «الجماهير»، بأكثريتها الساحقة، غير «متعاطفة» مع التطلعات الفلسطينية نحو الاستقلال، وما يترتب عليه او يمتّ له بصلة. والاهم من ذلك هو ان هامش التلاعب بهذه الجماهير ضيق للغاية، بحيث لا يمكن طرح مواقف لا تعجبها او انتهاج سياسات لا ترضى عنها ـ والا جاء الحساب ونُفِّذت العقوبة يوم الانتخابات. فالجناح العمالي الصهيوني، مثلاً، ونتيجة لسلسلة من الاخطاء التي ارتكبها، وجد نفسه، عند انتخابات سنة ١٩٧٧، وبين عشية وضحاها، خارج السلطة، وذلك بعد ٤٢ سنة متتالية قضاها في قيادة الحركة الصهيونية وحكم اسرائيل. وحتى الآن، وبعد عشر سنوات، لم يتمكن من استعادة نفوذه السابق بأكمله. والواضح ان هذا الدرس ماثل للعيان جيداً امام القادة الاسرائيليين؛ ومن يتوقع منهم «اعتدالاً»، على ارضية مواقف «جماهيرية» متصلبة، مخطىء ليس الا.

صحيح انه تُسمع في اسرائيل، من ناحية أخرى، اصوات مسالمة تدعو، من حين الى آخر، الى الحكمة والتعقل، مثل بيليد وساريد وايبن (ولا ينبغي ان ننسى، بالطبع، الشيوعيين وحلفاءهم، احباب بعض التيارات والاجهزة الفلسطينية)، وكذلك وايزمان، وغيرهم. الا ان هؤلاء جميعاً ليسوا الا بمثابة قوى هامشية، لا تحلّ ولا تربط. كما ان ما تطرحه ليس مقبولاً تماماً من قبل الفلسطينيين؛ وان كان مقبولاً، فليست لديها القدرة على تنفيذه. ولعل الاوسع «نفوذاً» بين هؤلاء جميعاً الوزير عيزر وايزمان،